قضية البعث بين المثبتين والمنكرين

الدكتور
محمد البيومى عبد الواحد الشيخ
مدرس بقسم العقيدة والفلسفة

قضية البعث بين المثبتين والمنكرين

الايمـــان باليـــوم الآخـــر

د٠محمد البيومى عبد الواجـــد الشيخ

قسم العقيدة والفلسفة

لا شك أن الايمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وصراط وحساب وجنة ونار من العناصر الهامة التى يجب على المؤمن ان يصدق بهـــا قال تعالى : « **الم ذلك الكتـــاب لا ريب فيـــه هـــدى للمتقين ٠ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقـــون** »(١) فجعل سبحانه أول شىء من صفات المتقين الايمان بما غاب عنهم ٠ وهو اليـــوم الآخر ٠

آن كل مؤمن بالقرآن الكريم أنه وحى من الله العليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى يؤمن بلا ريب آن لنا بعـــد هـــذه الحياة الدنيا حياة أخرة « **يا أيها الناس اتقـــوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هـــو جاز عن والده شيئا أن وعـــد الله حق** »(٢) وقال تعالى : « **وما هـــذه الحيـــاة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون** »(٣) يقول تعالى عن الدنيا انها لا دوام لها وغاية ما فيها لهو ولعب وان الدار

---

(١) البقرة ١ ، ٢ ، ٣ ٠
(٢) لقمـــان ٣٣ ٠
(٣) العنكبوت ٦٤ ٠

الآخرة لهى الحيوان أى الحياة الدائمة والحق الذى لا زوال له ولا انقضاء بل هى مستمرة أبدا(١) هـذه الحياة الآخرة سيجزى كل انسان فيها على ما قـدمت يداه فى الدنيا « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره شرا يره** »(٢) وقال تعالى « **ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** »(٣) وقال تعالى « **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** »(٤) .

وفى القرآن الكريم الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(٥) آيات كثيرة كلها تثبت بالدليل القاطع على أن الانسان لن تنتهى حياته بالموت بل هناك فى الآخرة حياة فيها الحساب والثـواب والعقـاب .

واذا كان البعث حقيقة من الحقائق التى جاء بها الدين فانه أيضا من الحقائق التى يأمر بها العقل السليم والمنطق الرصين فالعقل الذى لم يعلقه الهوى ولم تلوثه العصبية والمنطق السليم يوجبان أن يكون بين الفضيلة والخير وبين الرذيلة والشر رابطة العلية والمعلول ، بمعنى : أن الفاضل يلقى جزاء ما قـدم من عمل صالح . وان الاثم الذى قـدم الشر يلقى مصيره المؤلم .

وهـذا لا يكون فى هـذه الحياة التى يحياها على الارض وما أكثر ما نجـد الفضلاء يلقون الآلام والأشرار يرفلون فى حياة الترف والنعيم وهـو ما نلمسه فى حيـاتنا وخاصـة فى عصر كثرت فيـه المعاملات المـادية وارتفع فيـه صوت المـاديات على الروحانيات اذن لابد من حياة أخرى « **ليجزى الذين أساءو بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** »(٦) .

---

(١) القرآن العظيم . لابن كثير ٦٤ ـ ٦٩ .
(٢) الزلزلة ٧ ، ٨ .
(٣) المؤمنون ١٦ ، ١٧ .
(٤) البقرة ٢٨١ .
(٥) فصـلت ٤٢ .
(٦) النجم ٣١ .

يقول (فيلسوف الواجب)(١) وان الاتحاد بين الفضيلة والسعادة غير واقع فى هـذه الحياة بل غير ممكن أيضا وتلك مشكلة يجب حلها .

وقـد رأى فى سبيل حلها حلا عقليا ، أنه لابد من فرض وجود الله وخلود الروح وجعـل هـذا من مقـدمة الاخـلاق وأن يكون الالـه كامل العـلم ، يعـلم ما فيـه كل انسان وما يستحقه من سعادة ، كما يكون كامل القـدرة ، ليتخطا قوانين الطبيعة التى لا تربط بين الفضيلة والسعادة برباط العلة والمعلول وتثيب الفاضل .

ويرى أن هـذا كله لا يكون على كماله الا فى الدار الاخرى التى يكون فيهـا الخير جزاء الفضيلة ، والشر جزاء الرذيلة . ولهـذا يكون التسليم بذلك أمرا ضروريا فى علم الاخلاق .

فقضية البعث على هـذا يتفق فيها العقل مع الدين بل يسيران جنبـا الى جنب .

يقول فيلسوف العرب بن رشد(٢) بالنسبة الى الحياة الآخرة هى امر اتفقت عليه الشرائع وقامت عليه البراهين عند العلماء ذلك أن الانسان لم يخلق عبثـا قال تعالى : « **أفحسبتم انمـا خلقناكم عبثـا وانكم إلينا لا ترجعون** »(٣) .

أن الله عز وجل خلق الانسان لغاية يعتبر تحقيقها بأفعاله ثمـره وجـوده فى الحياة الدنيا . فلابد اذن من البعث بعـد الموت ليلقى حسابه عما قـدم فى سبيل الغاية .

« **فاما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب**

---

(١) عما نويل كانت — فيلسوف المـانى توفى عام ١٨٠٤ فى كتابه العقـل العمـلى .
(٢) ابن رشد (١١٢٦ — ١١٩٨) الموسوعة الفلسفية ١١ .
(٣) المؤمنـون ١١٥ .

إلى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا »(١) .

الدليل العقلى على الحياة الآخرة

هذه الحياة التى نعيشها على هذا الكوكب الارضى حياة تكليف وعمل ، والأخرى دار جزاء وحساب والدنيا عمل ولا حساب والآخرة حساب ولا عمل ، هذا ما يقول به الدين وعندما نعرض هذه القضية على العقل السليم يصدق بذلك فأن المؤمن الفاضل الذى يتحمل الآلام فى الدنيا ويصبر على نكبات الزمن رجاء أن يلقى الخير فى حياة أخرى والشرير الذى يرتكب الآثام ويعيش فى حياة منعمه لابد أن يلقى العقاب الاليم فى الآخرة .

ان المؤمن يؤمن بحياة أخرى خالدة يجزى فيها الجزاء الاوفى ومع هذا فأى ضرر فى الايمان بالعقاب والجزاء ، وأى خطورة أو مخاطرة فى اعتقاد أن ما جاء به الرسل حق كل الحق ؟ لا ضرر ولا مخاطرة بل هذا ما يسير مع العقل السليم والمنطق الرصين .

يقول أبو العلاء المعرى :

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا نحشر الاجساد ، قلت اليكما

أن صح قولكما فليس بضائرى ... أو صح قولى فالخسار عليكما

ذكر الآراء التى قيلت فى البعث

فى قضية البعث آراء مفكرى الاسلام وغيرهم فمنهم من قال ببعث الروح والجسد معا وهو ما عليه أهل السنة والجماعة يقول صاحب المواقف (اعادة المعدوم جائزة عندنا)(٢) .

---

(١) الاشتقاق ١٢ .
(٢) الايجى ٣٧١ مكتبة المعبر القاهرة .

٢ — ومنهم من أنكر البعث بالروح والجسد معـا وهم الفلاسفة المـاديون ومن لا يرون غير الطبيعية فى ايجاد العالم .

٣ — ومنهم من أنكـر البعث الجسدى فقط وأقر ببعث الروح فقط وهم المجوس والثنوية والمـانوية والفلاسفة الالهيون .

٤ — ومنهم من قال بالتناسخ كأفلاطون .

فالرأى الأول يسير مـع العقيدة الاسلامية وعليه جمهور المسلمين وان كان قـد حـدث خلاف فى ماهية النفس بين متكلمى المسلمين وان : فمنهم من رأى أنها عرض يفنى بفناء الجسد ثم يعيد الله خلقهما عند البعث ، ومنهم من رأى أنها جسم لطيف أو جوهر فرد يفنى بعـد فناء الجسد ثم يعاد اليه عند البعث .

وهؤلاء بعـد انفافهم فى البعث اختلفوا فى النفس هـل هى جـوهر فيفنى بعـد الموت ويعاد ، أو هـو المزاج فيفنى بفناء الجسد ويعاد وهـذا ما قال به « جالينوس » .

وبهـذا فقد توقف فى الميعاد الروحانى أما الجسمانى فانه ينكره مطلقا لانه يجزم بانعـدام الجسد ولا يجوز عنده اعادة المعدوم(١) أما الفلاسفة المـاديون فانهم ينكرون الروح ويرفضون أن تكون الطبيعة الانسانية مشتملة على نفسى تغاير فى طبعها شيئا المـادة المحسوسة وصفائيا ، بذلك فقد أجمع القدماء والمحدثون على انكار عقيدة البعث بعد الموت مطلقا فهم يفسرون الموت بأنه عـدم محض وليس هناك يوما آخر يعـاد فيه الانسان ليحاسب على ما قـدم فى دنياه ذلك لأن كل شيء عندهم مادى(٢) أو مظهر من مظاهر المـادة وأنكرو الروح انكارا

---

(١) فى كتاب الفصل — فى الملل والنحل لابن حزم حـ ٥/٢٧٤ يقـول جالينوس أن النفس عرض من الأعراض وهى مزاج متولد من تركيب اخلاط الجسد ، وعلى هـذا فيكون جالينوس من الطبيعيين الذين ينكرون الميعاد ويرون أن الانسان اذا مات انعـدمت نفسه ولا يعود .

(٢) ميزان العمل للغزالى — ١٥ والمواقف جـ ٨ — ٢٩٧ والمقاصـد جـ ٢ — ٢٠٠ .

كليا . وهم يصورن الانسان بأنه هيكل محسوس يشتمل على مزاج وقوة وأعراض وانه يفنى ويزول بزوال الحياة ولا يبقى منه الا المواد العنصرية . وان الانسان بكل ما يحتوى عليه مادى مكتسب من الطبيعة ولبس فيه من المواد ولا من القوى ما له صلة بعالم الارواح وهذا مذهب الماديين ولا غرابة فى هذا فهم ينكرون الالوهية والاديان والرسل والكتب الى غير ذلك والميعاد ويرون أن الموجود هو المحسوس ، وأن ما لايناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال ، وان العالم أزلى أبدى لا بداية له ولا نهاية ولم يزل العالم موجودا بذلك بنفس وبلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون أبدا وهؤلاء هم الزنادقة .

وقد قال بهذا الفيلسوف الاغريقى « ديمقريطس » وهؤلاء هم الدهريون الذين تحدث عنهم القرآن الكريم فيقول تعالى :

« إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا . وما يهلكنا إلا الدهر »(١) .

وقال تعالى :

« إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين »(٢) .

وقد تحداهم القرآن وخاطبهم بقوله :

« قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا . قل الذى فطركم أول مرة . فينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا »(٣) .

وقد جاء أحد هؤلاء الجاحدين منكرى البعث النبى صلى الله عليه وسلم وبيده عظم بال فقال يا محمد أتزعم أن الله يحيى هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم ويبعثك ويدخلك النار » ونزل قوله تعالى :

---

(١) الجاثية ـ ٢٤ .
(٢) المؤمنون ـ ٣٧ .
(٣) الاسراء ـ ٥٠ ، ٥١ .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم · قــل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »(١) ·

ان جواب هــذا المتعجرف الذى أنكر البعث كان حاضرا فى جنبات نفسه ، وذلك لانه تناسى خلقه وأنه من نطفة ثم تتدرج فى الخلق كما قال تعالى :

« ولقــد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قــرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحمــا ثم أنشاناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقــين »(٢) ·

وقــد جاء هــذا المعنى فى سورة مريم بطريقة تلفت نظر الانسان الى أصل خلقه قال تعالى :

« ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا »(٣) ·

اختصاص الله بعلم قيام الساعة :

لم يطلع الله عز وجل على ميعاد قيام الساعة بل جعلها من الامور التى اختص ذاته بها فانه قال تعالى :

« إن الله عنده علم الساعة · وينزل الغيث · ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غــدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير »(٤) ·

يقول ابن كثير هــذه مفاتيح الغيب التى استأثر الله تعالى بعلمها

---

(١) يس — ٧٨ ، ٧٩ ·
(٢) المؤمنون — ١٢ — ١٦ ·
(٣) مريم — ٦٦ ، ٦٧ ·
(٤) لقمــان — ٣٤ ·

فلا يعلمها أحـد الا بعـد اعلامه تعالى بها . فعلم وقت قيام الساعة لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله (وقرأ الآية)(٢) .

ولعل اختصاص الله تعالى بعلمها وعـدم اطلاع أحـد على وقتها حتى يستعد كل عاقل بالعمل الصالح الذى ينال به رضوان ربه سبحانه ولهـا أشراط قبل قيامها .

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل فى حـديث جبريل متى الساعة ؟ فأجابه بقوله : ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأنبئك عن اشراطها أن تلد الأمة ربتها وان ترى الحفـاة العراة رعاء للشاة يتطاولون فى البنيان »(٣) .

قال تعالى :

« **فهل ينظرون إلا الساعة أن تاتيهم بغته فقد جاء أشراطها** »(٤) .

والاشراط هى العلامات ويروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعـد ان أشار باصـبعه السبابه والوسطى بعثت أنا والساعة كهاتين(٥) . فمقدمات قيام الساعة فساد الأرض وما عليها من حياة ، فيكثر فيها الفساد حتى يكون عاما فى جميع العالم ، ويضعف شأن الاسلام حتى يعود غريبا كما بدأ(٦) .

وحينئذ يكون من الخير أن يأتى يوم الحساب والجزاء ، وذلك

---

(١) ابن كثير — ٤٥٣ .
(٢) البخارى — كتاب الاستسقاء .
(٣) رواه البخارى وهـذا جزء من حـديث الاسلام والايمان .
(٤) رواه البخارى فى كتاب الاستسقاء .
(٤) محمـد — ١٧ — .
(٥) رواه البخـارى .
(٦) قال صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء — رواه البخارى .

بكثرة ما يكون من الفتن والبلاء والطغيان والآثام . فاذا كان يوم القيامة ذهبت الأرض بما عليها ، وفنيت السموات ، وأصبح الملك خالصا لله وحده ذى القوة والجبروت ، يحدث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك . **« أين ملوك الأرض »**(١) .

وتتجلى عظمة الله وقدرته فى قوله سبحانه : **« وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »**(٢) .

صور من أيام يوم القيامة :

أننا لا نستطيع أن ندرك شيئا من أحوال القيامة الا ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فعلى هذين المصدرين المقدسين يعتمد أى باحث فى صور يوم القيامة والحياة فى الدار الآخرة .

فمن صور يوم القيامة ــ قول الله عز وجل :

« ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ، وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا ، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا مال لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » « وهذا رد على منكرى المعاد وتوبيخهم على رؤوس الاشهاد »(٣) وقد كانوا فى الدنيا يدعون بأن ليس هناك بعث **ولا حساب**(٤) **بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا » .**

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) الزمر ــ ٦٧ .
(٣) الكهف ٤٨ ــ ٤٩ .
(٤) ابن كثير ج ٣ ــ ٨٧ .

ومن صـــورها أيضا قـــوله سبحانه :

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين »(١) .

ولقد ختمت سورة الزمر بصورة تأخذ بلب كل عاقل وتحرك قلب كل غافل وهى قوله تعالى : **« وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحـــق وهم لا يظلمـــون إلى قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين »(٢)** وهـــذه أدلة قاطعة لاثبات البعث بالدليل القاطع الذى لا ريب فيه وكل الآيات تؤكد أن البعث بالروح والجسد معا **« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنـــات تجرى من تحتها الأنهـــار ــ هـــذا هـــو المسكن ــ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هـــذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ــ هذا هو المـــأكل ــ ولهم فيها أزواج مطهرة هذا هو المنكح ولمـــا كانت سعادة الدنيا يعتريها الألم ولهـــا نهاية بشر المؤمنين بأن سعادتهم لا تنغيص فيها وأنها سعادة خالدة بلا أكدار »(٣) : « وهم فيها خالـــدون »(٤) .**

كذلك وصف الله نعيم الجنة فى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم بأن النعيم مادى روحى معا ــ قال تعالى : **« وجـــوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية . فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعه ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة »(٥)** ويؤكد الرسول (ص) نعيم أهل الجنة المـــادى بقوله :

---

(١) الأنبيـــاء ــ ٤٧ .
(٢) الزمر ٧٠ ــ ٧٥ .
(٣) البقـــرة ٢٥ .
(٤) البقـــرة ــ ٢٥ .
(٥) الغاشية ــ ٨ ــ ١٦ .

(ألا هل مستثمر للجنة فان الجنة لا حصر لهـا هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانه تهتز ، وقصر مشيد ونهر مستطرد ، ثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى آبد فى دار سليمة وفاكهة وخضرة ، وحبره ونعمه ، فى محلة عالية نهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المستثمرون لها قال قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء الله)(١) .

جعلنا الله سبحانه من المستثمرين لها ان شاء الله ..

وأنعم علينا برضاه ــ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وســـلم ..

---

(١) صحيح مسلم .